احمد سعيد محمدية



ثورة مايو لماذا..؟



دار العودة - بيروت

أحمد سعيد محمديّة



دار العودة - بيروت



الطبعة الاولى
بيروت - ١٩٦٩

منذ سنتين ونيف وانا أرقب مسيرة الشعب السوداني ، واشهد فيه كل الخصال التي كانت بعيدة عن عيوننا من قبل ، ولقد تهيأ لي خلال تلك الفـــترة ان اتعرف على الكثير من التفاصيل في هذا الوطن ، بنفس القدر الذي اعرفه عن شعبي الفلسطيني ، وتهيأ لي مع هذا ان أصحب وأصادق واعرف رجال من كل قطاعات الشعب السوداني ، صعوداً الى اولئك الذين امسكوا السلطة بأيديهم ، ونزولاً الى قـــاع الوطن واطرافه البعيدة ، وإمتداداً الى كل الاطراف التي تمثل الوسط .. مع المترفـين في قصورهم ، ومع البؤساء في الحواري ، ومع المثقفين الطموحـــين ، واولئك الطيبين أصحاب الحدس المستضيء بالمعرفة بلا علم .

عرفت في هؤلاء السودان ، هذا البلد صاحب الوجه

العريق الرحب الذي تحتاج ان تتأمل فيه بشدة وإمعان حتى تعرف على ما يستكين وماذا يضمر ، وحتى تعرف ان وراء غلالة البساطة والطيبة فيه ، طهر الفكر واصالته وحدته والتزامه وعمقه .

وقد بت – مع هذا – ارى في السودان كما ذكرت من قبل وطناً استعيد به نفسياً عن وطن فقدت ، وبات الكثيرون من معارفي واصدقائي واخواني السودانيين يرون فيَّ واحداً من الذين هضم الروح السودانية ، وتمثلها سلوكاً وروحاً ، عادة وتقليداً ، ويرون انني واحد من ابناء الوطن السوداني الذين لهم حق التطلع للسودان ، ولهم حق النقد المرّ اذا رغبوا ، وحق المشاركة في المصير .

ولقد نظرت بأمل الى السودان مع الكثيرين غيري من المثقفين الذين كنت التقي بهم ، ومع اولئك الذين حملوا همّ الوطن السوداني على عاتقهم ، وكنت رغم صداقاتي الحميمة لعـــدد كبير من رؤوس الحكم الحزبي ، انقد الوضع ، واوجه اللوم ، وادعو الى تغيـــير الاساليب ، واقول بصراحة واضحة لرجل صديق – السيد عبد الماجد ابو حسبو – ان حزبكم ليس حزب المستقبل ، واقول في بيت الرئيس محمد احمد محجوب لقد سقطت كل القيادات

التقليدية في المشرق التي كان وجودها سبب نكبة حزيران ، حتى اذا سألني ما المشرق الذي تعنيه اقول له انه الارض التي تمتد من السودان حتى ضفاف الخليج العربي !!

وامام رؤية مبكرة كنت اقول لا بدَّ للقوى الجديدة ان تأخذ حظها في القيادة والتنفيذ في السودان ، ولا بدَّ لهـــذا الوطن العزيز الفقير ، أن يصبح غنياً عزيزاً ، ولا بد أن تحاسب الجماهير القيادات على كلامهـا التي لم توضعه موضع التنفيذ خلال سنوات الاستقلال الاربع عشر .

ولهـــذا كمراقب سمحت له الفرصة ان ارقب السطح السوداني ، وان اغور بعض الشيء الى الأعماق فيه لم تكن حركة مايو – التي اسقطت الحكم الحزبي – بالنسبة الى حركة مفاجأة ، ولم تكن انفجاراً غريباً لم يسمع فيـــه صوت اشتعال الفتيل ، بل كنت اظن واعتقد ان شيئـاً مثل حركة مايو لا بد ان يحصل ، وكان هذا ايضاً حساً يشاركني فيه – واشاركهم فيه – عدد كبير من الاصدقاء والاخوان وحتى بعض الذين كانوا في الحكم انفسهم .

وعندما سيطرت حركـــة مايو على الحكم ورفعت شعاراتها ، اتصل بيَّ عدد كبير من الاصدقاء في لبنان ،

ومن الاصدقاء السودانيين في لبنان يسألونني ويستفسرون عما حدث ، والكثيرون منهم يسألون وكأنهم يريدون ان يتأكدوا مني عن هوية هذه الحركة التي رفعت راية جماهيرية ، وكانوا وهم يفعلون ذلك يضعون في حسابهم هذه الصلة الحميمة التي تربطني بالسودان الوطن والارض.

وكان لي بعد هذا ان أسافر من بيروت الى الخرطوم على اول طائرة قامت أثر فتح مطار الخرطوم ، وان أبقى هناك مدة ثلاثة عشر يوماً ، وان اشهد عملية التغيير على الطبيعه ، وان استمع الى قادة التغيير واتعرف عليهم عن كثب ، وان اشهد بعد ذلك ان حركة مايو ليست انقلاباً عسكرياً ، ولا ينبغي - لا سمح الله - ان تتحول الى ذلك ، وان ارى فيها ثورة وليدة قادتها الطليعة العسكرية في الجيش السوداني ، ومن ورائها الجماهير ، وان ارى في نفس الوقت ذلك العناق الحار المشهود بين ما يقارب من مئة وخمسين الف مواطن وقادة الحركة في الخرطوم .

وقد فعلت ذلك امام واجبين : اولهما انني مرتبط هذا الارتباط الذي - اعلنته عن نفسي - بالسودان ، وانه لا بد

لمن كان مثلي ان يهزه ما حدث وان يأخذ بيـده الى موطن الحدث .

وثانيها : انني « صحفي » لم تستكين به الارض منذ تحركت ألاحداث في المنطقة العربية في السنوات الاخيرة ، وانني قد شهدت كل حدث مهم في هذه المنطقة على أرضه .. في سيناء أيام حرب الايام الستة ، وفي الارض المحتلة نفسها متسللا عبر نهر الاردن ، وفي القاهرة وعمـان ودمشق وعدن وصنعاء ، وبغداد ، وفي كل ارض عربية مضت فوقها رياح التغيير السريعة الملتهبة .

وكان بعد هذا لا بد لي ان اقول شيئاً عما حدث في الخرطوم — ولو كان هذا قليلا — ذلك انه ينبغي لنا الآن أن نطل اطلالة واسعة — اذا استطعنا — على الارض السودانية نستقرأ الماضي عبرة ، وننظر مـع الناظرين للمستقبل بحذر وتفاؤل ، وان نسهم بمحاولة متواضعة في الكشف عن بعض ما نظن اننا بحاجة الى معرفتـه ، ليكون بين ايدينا قاسماً فكرياً مشتركاً ، وقد فعلت ذلك من خلال هذه المجموعة من المقالات والدراسات الموجزة التي نشرتها في مجلة الصياد وجريدة الانوار .

واظن – بهذا – ان ما اقدمه الآن ليس إلا جهداً فيه صفة الاعلام اكثر من أي شيء آخر ، وان كان بعضاً منه تحليلاً وتعقيباً يصل حركة مايو الحاضرة بجذورها التاريخية ، وبصداها المستقبلي ، واظن انني بهذا اسهم بنصيبي المتواضع في خدمة الوطن السوداني الذي احب .

احمد سعيد محديه
دار الصياد – بيروت

كان الحكم الحزبي السوداني قد وصل هو ذاته الى طريق مسدود ، وأصبح هذا الوطن الطيب العظيم يسير على طريقة « مكانك راوح » . . فمنذ فجر الاستقلال وحتى الآن لم يحدث تغيير جذري واحد يأخذ بأيدي المواطن السوداني الى حيث يرغب ، ويضعه حيث يجب ان يكون بين الشعوب الناهضة والتي تصنع غدها الافضل .

كان الحكم يقوم ، بطبيعة تركيبه ، على المساومة ، وعملية شد الحبل بين حزبين كبيرين هما حزب الامة والاتحادي الديموقراطي ، لكل منهما مطامعه الخاصة في الحكم ، وكان هذا الوضع يجعل اية حكومة تأتي الى الحكم تقيس خطاها بهذا المقياس ، وبخوف من « شطر » الذات عن طريق انفكاك الحزبين المؤتلفين ،

وتجعل كل قسم من الحكومة يلتفت الى القسم الآخر بحذر وخوف وقلق ، امام احساسه بأنه خصم ورقيب وليس شريكاً حميماً .

ولقد ساهم في بقاء هذا الحكم الحزبي بهذه الصورة كون قادة الحزبين المؤتلفين — وباستمرار تقريباً — من القيادات التي يمكن تسميتها بالقيادات التاريخية ، ونعني بها تلك القيادات التي تكون على رأس الحركة الوطنية لتحقيق الاستقلال على غرار ذلك النفر الذي عرفنا : في لبنان وسوريا ومصر امثال السادة شكري القوتلي وبشاره الخوري ورياض الصلح والنحاس باشا وغيرهم .

ان هذا النوع من القيادات الوطنية التي لا تحمل بذوراً ثورية في النفس يمكن ان تتفتح مع الزمن وتتطور مع احداثه ، تشعر ابداً بنوع من الوصاية على الشعب ، وتحس انها — وهي التي قادت حركة الاستقلال — ذات حق في ان تحكم وتسود ، فلا تسمح للقيادات الجديدة والموعودة بأن تبعث في ارض الوطن وحتى في اطار الاحزاب .

حديث مع ابو حسبو

واذكر انني كنت ، قبل تفجير الحركة الثورية بأسبوع اركب مع السيد عبد الماجد ابو حسبو وزير الاعلام في الحكومة الحزبية السابقة واحد قادة الحزب الاتحادي الديموقراطي في سيارته متجهين الى بيت صديق مشترك ، واني قلت له ، في لحظة مصارحة ومكاشفة ، ارى ان حزبكم لن يستطيع ان يستمر في الحكم .. فالتفت الي لفتة رافضة ليقول وبحدة :

– لماذا ؟

قلت : لأن حزبكم قد تجمد على القيادات القديمة .. قل لي من هي المجموعة الشابه – التي يمكن ان تمثل دماً جديداً في الحزب – والتي اخذت نصيبها في مشاركتكم السلطة ؟..

وقلت ان حزباً لا يرضى بالجديد ويتوقف أو يتجمد عند صورة معينة من الرجال أو الافكار لا يمكن ان يكون هو حزب المستقبل .

ولم يجد السيد عبد الماجد ما يدفع به التهمة سوى

القول ان الحزب قد جرب الشباب ، وان الشباب قد خلق مشاكل داخل الحزب ، وان الجيل الجديد صاحب مطامح اكبر من قدراته .

طبعاً مثل هذا الكلام يوضح الى اي حد من الجمود كان الحزب الاتحادي الديمقراطي قد وصل . ذلك ان السيد ابو حسبو كان يمثل على ما يظن الجميع والى حد بعيد عقل هذا الحزب مع مجموعة قليلة اخرى .

اذن الجمود الذاتي الحزبي ، والجمود الائتلافي كان مدعاة لان يتحرر الشعب السوداني من قياداته المسماة بالقيادات التاريخية ، لان هذا الشعب كان قد اعطاها الفرصة كاملة وخلال اثنتي عشرة سنة حتى تقود السودان إلى حيث يجب ولكنها لم تفعل ..

وامام هذا الواقع يبرز السبب الثاني الذى اعطى الفرصة للحركة الثورية التي قادها اللواء جعفر النميري والسيد بابكر عوض الله كي تتحقق في هذه الفترة .

ان الشعب السوداني ليس شعباً مقطوع الرحم والصلة

بالتيارات الفكرية والنفسية والتاريخية التي تحتدم في المنطقة العربية وفي العالم الثالث ، وفي العالم اجمع . على العكس هو شديد الصلة بذلك واكثر التفاتاً الى حركة التغيير في العالم من غيره .. لانه شعب حققت له الارض التي يعيش عليها فرصة ان يكون صلة وصل بين قارتين تجيش كل منها بحركة غير عادية من الطموح والافكار واليقظة القومية بعد نوم وغفلة طويلتين .

الدنيا تتغير حول السودان

وهو يرى على حدوده القريبة شعوباً اكثر تخلفاً منه ، ومع ذلك فهي اكثر اندفاعاً في طريق التطور . يرى يوغندا ، مثلاً ، وقد وصل العمران فيها والمشاريع حداً يضعها في مصاف الدول الوسط ، ويرى الحبشة ، وقد حقق لها الحكم – وهو رجعي متعفن سياسياً – اكثر مما يظن .. ثم يلتفت عربياً فيرى مصر ، وهي تشيد قلعة للصناعة في نفس الوقت الذي قطعت به اشواطاً عظيمة في العمران المدني والاجتماعي والثقافي وفي حين يلتفت الى نفسه فيرى الخرطوم صورة لما كانت عليه

ايام الاستعمار الانجليزي ، ويرى البطء الشديد في الحركة العمرانيـــة ، والبطء الاشد في الحركة التعليمية ، ويرى حياته كلها وكأنها مدموغة بالجمود وسط فقر بالغ التـأثير (مدخول الفرد السوداني السنوي ١٠٧ دولارات حسب تقرير الامم المتحدة) بينما هـــو يعيش على ارض يمكن ان تجعله امكانياتهـا اغنى الشعوب العربيـة لا بل اغنى الشعوب العالم (مساحة السودان مليون ميل مربع صالحة في معظمها للزراعة) .

في ظل هذا الوضع وأمام تحرك الرأس السوداني يمنـة ويسرة ومشاهدته وتأثره بحركات البناء ، كان لا بد أن يحدث التغيير . . ان يسقط الحكم الحزبي التقليدي الذي لم يقـد السودان الى حيث يرغب السودان ، وهذا ما تم .

ولكن تنبغي الاشارة هنــــا الى ان الشعب السوداني الطيب المتسامح الفكر والقلب لم يصل الى هــذه النتيجة اليوم ، وفي حركة مايو التي قادها اللواء جعفر النميري ، وإنما وصل الى هذه النتيجة مرتين من قبـــل : في المرة الأولى عندما سقط حكم السيد عبدالله خليل بمجيء حكم الفريق ابراهيم عبود ، والمرة الثانية عندما حقـق ثورته

الشعبية الفريدة في اكتوبر والتي أسقطت الحكم العسكري غير الثوري المنغلق والمتزمت .

ومن المحقق – بعد هذا – ان الخلفية التاريخية للشعب تعطية التجربة والمعرفة بالمسيرة المنشودة والمطلوبة وتحصنه ضد الأخطاء التي يمكن ان تنتكس به أو ترتد به الى حيث كان ، أو إلى ما قبل ذلك .

ومن هنا ، وعلى ضوء معرفتي ومعايشتي للشعب السوداني ، نظرت الى الثورة الوليدة مستشفاً ضميرها ، لأعرف مقدار إفادتها بتجربة الماضي ، خصوصاً وقد تسنى لي ان ألتقي باللواء جعفر النميري أكثر من مرة في مقر القوات المسلحة وفي غرفة القائد العام ، وأن أستخلص من تلك الجلسات الملامح العميقة للثورة السودانية الجديدة ؟

من هو جعفر النميري ؟

اللواء جعفر النميري هذا الشاب الذي تتمثل في وجهه قسمات وجه السودان كله ، والذي تعبر ملامحه عن ذلك التمازج التاريخي للعنصر العربي مع العنصر الافريقي . هذا

الشاب – ٣٧ سنة – بدا لي انه يعرف فعلاً ما يريد ..

انه أولاً ثوري محترف فقـد حاول ثلاث مرات الخلاص من الحكم الحزبي وقدم للمحاكمة مرتين وعزل من الجيش مرة واخرى لان ميوله الثوريـة كانت واضحة .. حمل العزم على التغيير متأثراً بحركة الثورة العربية ، مستلهماً من شخصية الرئيس جمال عبـد الناصر بعض الصفات ، مدركاً أن السودان لن تتهيأ له فرصة التطور المطلوب « ما لم تشحذ الثورة همة الوطن » .

هذا الشاب الذي ينتمي بكل الصدق الممكن الى ابناء جيلنا العربي الذي حمل الهم القومي عـبر العشرين سنة الأخيرة بكل اعصابه واحلامه ، ظهر من اللحظة الأولى انه هضم التجربة الوطنية السودانية ، وانه مصمم مـع ذلك النفر من الشباب اعضاء مجلس قيادة الثورة على وضع الأمور في موضعها الصحيح .

ولقد عرفت منه انه قد فعل بتصميم وخطة مرسومة ما يلي :

● اولاً : انه لم يكن هو والرعيل الأول من الضباط الأحرار يرضى بانتماء اي ضابط من ضباط القوات المسلحة السودانية ، أو ضباط البوليس إلا بعد دراسة لشخصيته ومعرفة ثقافته ، والتأكد من هويته الوطنية واتجاهه التقدمي .

قال لي : « كنا مصممين على ألا يكون بيننا انقلابيون محترفون .. ان التربية الفكرية والسياسية تجعل الضابط اكثر التزاماً بمسيرة الوطن ، وتبعده اكثر فأكثر عن مطامحه الشخصية ، وان جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة من الشباب السوداني المثقف الذي يمكن له ساعة الواجب ان يعطي الوطن روحه وقلبه » .

وجوه اخرى

وبعد لقاءات كثيرة مـــع الضباط الرواد اتضحت لي صحة ما قاله اللواء جعفر النميري . كلهم من الضبـاط الذين نموا في أحضـان اليسار القومي ، متأثرين بالحركات الثورية التي اشتعلت في المنطقة العربية عبر الخمس عشرة سنة الأخيرة .

وشخصية الرائد مأمون عوض ابو زيد الرحبة المثقفة يمكن ان توجز شخصيات بقية اعضاء مجلس قيادة الثورة . انه من الذين قرأوا ماركس والجاز والتراث الوطني السوداني نثراً وشعراً ، ومن الذين عرفوا الكثـير عن التطور الفكري للأمة العربية منذ فجر اليقظة القومية وحتى هذا الزمن .

وهنا يكمن احد الفوارق الأساسية بين هذه الحركة الثورية وحركة عبود العسكرية الغبية المنغلقة وطنيـــاً وقومياً .. ففي حين كنا نرى رجال الحكم العسكري في عهد عبود من ذلك النفر الذي فقد القدرة عـلى تحسس روح الوطن وفكره وخواطره ، وراءه ضيق الأفق ضيقاً شديداً يبعده عن شعبه وأمته ، نرى هؤلاء الضباط الشباب

مختلفين كل الاختلاف بدليل انهم يؤمنون بالمعادلة القائلة ان البندقية بلا هوية فكرية تعني الحكم « البوليسي » ولذلك فهم ، وبهذا المفهوم ، مؤهلون لعدم الوقوع في شرك عقلية الانقلاب العسكري المجرد .

● الحكم العسكري الذي قاده الفريق عبود كان منغلقاً والحكم الحالي منفتح على كل التقدميين ، ويقول لهم .. احكموا ونحن نحمي مسيرة الحكم ..

هذا الكلام هو ما قاله اللواء جعفر النميري لرئيس واعضاء مجلس الوزراء في الجلسة الاولى المشتركة التي عقدت لمجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء في قيادة الجيش ، ولذلك ليس في الوزراة « عساكر » اللهم الا في وزارتي الدفاع والداخلية ، المسؤولتين عن الامن وحماية الوطن داخلياً وخارجياً .

وحتى الآن وخلال كل تلك الجلسات كان الوزراء — هم الذين يضعون خطط التغيير كل في وزارته .. وكان مجلس الوزراء هو الذي يرسم الخطوط العريضة الداخلية والخارجية للسياسة الوطنية والقومية للسودان .

وهذا يعني في حساب المراقب الانسجام الكامل الذي عبر لنا عنه اللواء جعفر بقوله : « ان ثورتنـــا ليست حركة عسكرية . انها ثورة شعب كامل والذين تحركوا في الخامس والعشرين من شهر مايو لم يكونوا ليحملوا امالا ذاتية ، وانما كانوا يحملون آمال الوطن كله لوضعها موضع التنفيذ ، ونحن جميعاً مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء من خامة واحدة هي الخامة السودانيـــة ، ومن نسيج فكري واحد ، هو الفكر الثوري التقدمي العربي ، ومن روح واحدة هي التي تنكر الذات وتضع مصلحة الوطن قبل مصلحة الذات » .

وأظنـك ، وأنت مراقب – والكلام ما زال للواء جعفر – تستطيع ان ترى من البداية كيف ارتضى جميع المسؤولين هذه القرارات التي تعطي الوطن السوداني حقه في خيره ، وتقلل من الفرصة الذاتية للوزراء في المساهمات والمخصصات والسيارات وكل هذه الاشياء التي نرى ان الشعب احق بها .

ماذا يقول عوض الله ؟

واذا كان كلام اللواء جعفر يحدد الصورة هنا فإن كلام

السيد بابكر عوض الله رئيس الوزراء ، يزيد في ايضاحها ، « انا اعرف هذا النفر من الشباب الذين حملوا ارواحهم على الاكف في الخامس والعشرين من مايو .. كلهم مخلصون لقضية الوطن كما ينبغي للوطني الغيور ان يعتقد ويفعل ، ولقد عرفت اللواء جعفر النميري من سنوات طوال وكنت باستمرار اقدر فيه هذه الوطنية المتقدة ، وهذا الاحساس بالظلم الذي يقع على عاتق شعبنا السوداني ، وكنت أحس بعروبته واضحة صادقة ، وبالتزامه بقضية الجماهير ، وهذا في رأيي هو سر المعانقة الحارة بين الشعب السوداني وبين حركة مايو ، لان حركة مايو رفعت راية الجماهير منذ اللحظة الاولى » .

● هذا الانفتاح التلقائي بين المجموعة العسكرية والمجموعة المدنية هو لقاء سياسي وفكري وليس لقاءاً مصلحياً .. واعتقد ان التكوين الفكري للذين جاؤوا الحكم لن يسمح بتحوبله الى لقاء مصلحي ، فلو كانت لدى الجيش السوداني نزعة التسلط لما سمح ، وهو صاحب الخطة التنفيذية في التغيير بمجيء وزارة كلها من المدنيين المعروفين جداً بانتماءاتهم الفكرية اليسارية .. ان وجود هذه الوزارة بالشكل الذي جاءت عليه يؤكد القرابة

الوجدانية القائمة بين كل الذين افرزتهم احداث حركة مايو .

النميري يهد الاحزاب

● في اكتوبر انفجرت الثورة الشعبية السودانية التي اسقطت حكم الفريق ابراهيم عبود وكان اليسار التقدمي السوداني على رأس القوى التي ساهمت باسقاط « عبود » ، وقسد تسللت القوى اليمينية والحزبية الطائفية وسرقت الثورة من اليسار .

كان اليسار – وهو شاب نام – أقل خبرة وتجربة من اليمين صاحب الجذور الضاربة عميقاً في الارض السودانية .. استطاع اليمين اولا أن يتسلل الى الواجهة الجماهيرية ، ثم أن يحتكر السلطة منفرداً ، لا بل يزيد على ذلك بطرد اليسار من مقاعد الجمعية التأسيسية وتحريم وجود الحزب الشيوعي ، ومحاولة تفكيك القوى اليسارية .

وبهـــذا استطاعت الاحزاب القديمة أن تعود ، واستطاعت أن تحكم منذ سقوط الحكم العسكري وحتى اللحظة التي اطاح بها الجيش السوداني .

هل يقدر اليسار الجديد أن يتجنب مرة جديدة سرقة

الثورة من بين يديه وقد بات الآن رجلا ناضجاً ؟

اللواء جعفر النميري متيقظ إلى هذه الحقيقة : « لن نسمح للاحزاب بالتسلل من البوابة الخلفية » قال ذلك في المواجهة التلفزيونية التي أجريتها معه محطة « أم درمان » .

وعندما جالسته قلت له : اعتقد ان اليمين سيغير أساوبه في التسلل إلى الثورة وتنفيسها من الداخل ؟

قال : عندنا الحيطة والحذر كله ... لن تتكرر مأساة اكتوبر مرة ثانية ... أي حزب من هذه الاحزاب الكرتونية يحاول التحرك سنضربه بيد من حديد ... لقد أعطيت الاحزاب في الماضي فرصة لتعمل ولكنها لم تفعل .. جعلت السودان غابة .. جعلته مزرعة .. أو قل جعلته « تركة » يختلف عليها ورثة غير صالحين . ان الرجعية تستطيع ان تخدعنا مرة ولكنها لا تستطيع ان تفعل ذلك مرتين .. والشعب السوداني الآن أكثر يقظة منه في أي فترة مضت .

وكمحاور قلت له : ولكن الشعب السوداني متسامح وكريم .

قال بحزم : لن نكون طيبين بعد اليوم ... لن

يكون هنـــاك تسامح مع الذين خربوا الحياة السياسية والاقتصادية وحاولوا تخريب النفوس .

● **وماذا ستفعلون ؟**

– عزلنا ، أولاً ، كل هذه القوى البائدة عن وجـه الحياة السودانية – كل أعضاء الحكومة السابقة في سجن كوبر – وثانياً ، سنحاكم كل فرد تثبت عليه تهمة تخريب الحياة العامة السودانية .

● **ولكن كيف يمكن التخلص من الواقع الحزبي المبني على الطائفية ؟**

– ليس ثمـة مواطن واحد في السودان ضد التقدم والتجديد ... ان جماهير الأحزاب من المواطنين في المدن وفي الأرياف جماهير خيرة وتريد التقدم ، وهي بهـذا لن تكون أداة في يد الرجعية الحزبية الساقطة .. وأريد ان أضيف فأقـــول لك ان الأحزاب لم تكن موجودة إلا شكلياً ... كانت أبنية كرتونية لا تظهر منها إلا تلك الرؤوس التي تزعم لنفسها الحق الإلهي في الحكم والسيطرة وامتصاص دم الجماهير السودانية .

• الى أين ؟

● هنا وضح لنا ان الطليعة العسكرية السودانية قد تهيأت لها بصيرة نفذت إلى الماضي السوداني ، بنفس القدر الذي تتطلع فيه إلى المستقبل .

وبعد هـــذا كله يتساءل المراقب والمواطن العربي على السواء إلى أين تتجه هذه الحركة ؟

ونظن أنـــه ليس من باب استباق الأمور القول أنهـــا ستنحو بالسودان إلى حيث يجب وطنياً وقومياً وفلسطينياً واشتراكياً ، ما لم يحدث ما ليس في الحسبان لا سمح الله .

ولذلك أسباب أهمها :

أولاً : ان الخرطوم تأتي من حيث التخلف العمراني والمدني ثاني عاصمة بـــين العواصم العربية – وان كان المستوى الحضاري والفكري فيها أكثر تقدماً من مجموعة كبيرة من هذه العواصم – أي ان صنعاء في آخر السلم المدني بين العواصم العربية وتليها الخرطوم .

والخرطوم بأرضها وشعبها تملك امكانيات كبيرة للعمل والانتاج والعمران ... أنها ، بهذا المعنى ، أرض خواء ، وأي عمران اقتصادي أو ثقافي أو زراعي سيظهر فيها وسط ساحة العدم التي خلفها الحكم السابق .

من هنا فان الفرصة واضحة أمام الحكم الجديد حتى يقوم بما يرتجى منه ، خاصة وان أذناً جماهيرياً قد أعطى له للعمل ، وما تلك المسيرة الشعبية التي سارت في الخرطوم والتي قدر عدد أفرادها بمئة وخمسين الفاً الا الضوء الاخضر اضاءته الجماهير السودانية للحكم الجديد ، كأنها تقول له : تقدم وهذه سواعدنا وقلوبنا معك .

واذا تم البنيان على الاسس الحكيمة المطلوبة فان الحكم يكون اعطى شعاراته التي رفعها مضمونها الحق ..

● ومن الجانب العربي فقد تأكد ان حركة مايو ما هي الا جزء من حركة الثورة التي تحركت على امتداد الارض العربية تطلب التغير الاجتماعي والسياسي ، وتطلب الوحدة القومية .

وفي كل التصاريح والبيانات التي أعلنت حركة مايو فيها عن نفسها كان واضحاً انها تعطي الامة العربية اهتمامها وتضع قضية النضال العربي من نفسها الموضع الاعز ، وقد عرفت من اعضاء مجلس قيادة الثورة منفردين ان تسليح الجيش السوداني سيتم بأسرع ما يمكن وان الحكم السابق قد تلكأ أشد التلكؤ في تزويد الجيش السوداني بالسلاح السوفياتي .

وقيل لي ، في هذا الصدد ، ان عملية التسليح سوف تتبع اتجاهين : اتجاهاً افقياً واتجاهاً عمودياً حتى يتحقق من خلالها ما يتناسب مع قدرات الاربعة عشر مليون سوداني ، ومـا يتناسب مع ظروف العصر ، ومطالب المعركة التي تخوضها الأمة العربية .

● الحركة : فلسطينيا

واللواء جعفر النميري يحدد هنـا الواجب القومي السوداني بلغة صريحة تقول : « ليس لنا في مشاركتنا في المعركة مع الصهيونية أي فضل أو جميل ، وليست نوعاً من استرضاء العواطف .. انه واجب لا منة فيه ، ونحن

عندما نشترك في المعركة ضد الاستعمار والصهيونية ندفع عن السودان شراً مستطيراً .. ان هزيمة أي جزء من الوطن العربي هزيمة للسودان وأي نصر للعرب نصر للسودان .

وفي الجانب الفلسطيني – وهنا التخصيص واجب وسط زيف بعض المزاعم العربية الرسمية – فان الكلام الذي قاله بابكر عوض الله رئيس الوزراء يحدد الملامح الفلسطينية لحركة مايو ... لقد قال عندما اجتمع مع سفراء الدول الأجنبية في السودان : « نحن مع العمل الفدائي ، وسنؤيده تأييداً مالياً ومعنوياً وعسكرياً .. وهذا التأييد يعني اننا ضد تصفية هذا العمل الفدائي ، واننا سنحارب الدولة أو الدول التي سوف تحارب العمل الفدائي » .

وعندما ودع ، قبل فترة ، سفير لبنان في الخرطوم الرئيس عوض الله وهو بصدد الانتقال سفيراً للبنان في السعودية ، اعاد الرئيس بابكر عوض الله على مسمعه عبارته الحادة القاطعة في وضوحها : « نحن مع العمل الفدائي ، وسنحارب الدولة التي تحاربه » .. وكان واضحاً لمن يوجه الرئيس السوداني هذه العبارة من خلال مخاطبته السفير .

واما الجانب الاخير الذي سوف يتجه اليه الحكم في اعتقادنا فهو الاتجاه الاجتماعي الذي يضع موضع التنفيذ كل الشعارات الاشتراكية التي رفعها .

وحتى نعلم مدى جدية حركة مايو في هذا الاتجاه فاننا نقرر ان سبعة من الوزراء ماركسيون خالصون ، بعضهم ينتمي انتماء كاملا للحزب الشيوعي السوداني المعروف بسلامة اتجاهه القومي ، هذا ، بالاضافة إلى أن أعضاء مجلس الثورة كلهم يساريون في حين ان الوزراء الآخرين ايضاً من اليساريين المؤمنين بالتطوير من خلال البناء الاشتراكي .

ويكفي ان يجزم اللواء النميري بأنه بصدد تسخير كل امكانيات الوطن السوداني من أجل الجماهير وان يعلن ان الطبقة العاملة لا بد وان تأخذ دورها في الحياة والحكم ، وان يكون السيد بابكر عوض الله واحداً من الذين يؤمنون أشد الايمان بالتحول الاشتراكي وان يكون ما فعلته مصر في هذا الصدد هو المثال والقدوة ، حتى نعلم ان مسيرة حركة مايو في هذا الاتجاه واضحة الوضوح كله .

وبعد ، فان الراية التي رفعتها حركة مايو هي راية تقدمية تجعل كل القلوب التي ترصد مسيرة الثورة في الوطن العربي تطمئن وتجعلها تحس ان ثمة ترسيخاً وتأكيداً وتعميقاً للشعارات الجماهيرية المرفوعـــة في الوطن العربي منذ عشرين سنة .

لماذا تأخرت الثورة ؟؟

يبدو لنا الآن بعد أن استقرت الأسباب بحركة مايو السودانية التي قادتها الطليعة الثورية العسكرية مؤتلفة مع التقدميين اليساريين المدنيين ، ووضعتها على الطريق الذي تنهجه « الثورة » في الوطن العربي ، والعالم الثالث انها قد تأخرت عن ميعادها الزمني ، وانهـــا كان يمكن لها أن تنفجر – حاملة الامل – قبل هذه الايام .

وفي رأينا أن مبعث « التأخر » مردود الى سببين : اولهما ثانوي ، وثانيهما أصلي .

ونظن أنه من الطبيعي ذكر السببين ونحن بصدد السؤال عن ثورة مايو .. ماهيتها واصولها واتجاهـــاها ورجالها ، ذلك ان فهم اسباب وظروف حركة ما ، ينبغي ان يشتمل على رصد العوائق التي اعترضت مسيرة الحركة ، ووضع هذه العوائق أمام البصر ، كشفـــاً للغوامض ،

وإفصاحاً عن طبيعة الظروف التي مضت الثورة فيها ، صامتة حتى لحظة الانفجار .

ان السبب الثانوي في رأينا كون الاستقلال السوداني نفسه قد جاء متأخراً عن الموعد الذي تمت فيه اليقظة القومية على نطاق الأمة العربية كلها ، فالسودان كان آخر من نال استقلاله على الارض العربية — عملياً وواقعياً ورسمياً — اذا وضعنا ليبيا على نفس الطريق ، واستثنينا عدن التي هي جزء من الوطن اليمني المستقل أصلاً .

ولا شك أن أي تغيير يعقب الاستقلال سوف يكون صعباً ، خاصة اذا كان التغيير بصيغة الثورة ، ذلك أن الاستقلال نفسه دخول في مرحلة جديدة مغايرة ومختلفة عن عهد كان الوطن كله لا يملك ارادته ولا مصيره . — هذا اذا كان الاستقلال يعني اكثر من النشيد الوطني والعلم الخاص والجيش الاستعراضي —

ان الشعب هنا يعطي فرصة للذين جاؤوا على رأس العهد الجديد ، والفرصة الممنوحة هنا مزدوجة الشكل وذات وجهين ، اولهما ان الامل يكون قائماً في مطلع اي مرحلة زمنية جديدة من عمر « شعب » ، وان الشعب يمهل الذين

يأتون على رأس هذه المرحلة ، ويحكم من بعدها على فعلهم ونتاج بقائهم ، وثانيها ان الذين جاؤا على رأس العهد الاستقلالي السوداني كانوا من القيادة التي توصف عادة بالقيادة التاريخية ، والتي يعطيها الشعب فرصة كي تحكم ، طالما هي في مقدمة الصف ايام مرحلة النضال ضد الاستعمار والتخلص منه ، وطلب العهد الاستقلالي ، وهو عندما يفعل ذلك يرفع القيادة التاريخية الى سدة الحكم بنفس السبب والحافز الذي رفع فيه العلم الوطني وانشد النشيد القومي . ان القيادة التاريخية التي عملت ضد الاستعمار تكون هنا جزءاً من ادوات تحقيق الاستقلال .

فإذا كان – بعد هذا – الاستقلال قد تأخر عن موعده ، وكان الشعب قد اعطى القيادة التي ناضلت معه من اجل الاستقلال فرصة للحكم ، وكان عليه بعد ذلك ان يكتشف ان الذين جاؤا الى الحكم مع الاستقلال لم يحققوا معنى الاستقلال ، وان يتحرك من اجل الخلاص منهم – من القيادة التاريخية التي تحس خطأً مع الزمن انها ذات حق مقدس في البقاء بالحكم – فان موعد حركته الثائرة لا بد ونتيجة لهذه العوامل من ان يتأخر .

وأما السبب الثاني فهو ينفي بعضاً من وجوه السبب الأول وإن كان بالنتيجة يوضح سبب تأخير حركة مايو — بوصفها « ثورة » ترفض القديم ومخلفاته وتتطلع للجديد فكراً واسلوباً — وهو مجيء الحكم العسكري بشكل يوحي وكأنه حركة ثورة .

وتحليـــل ذلك ان الحكم العسكري الذي كان على رأسه الفريق ابراهيم عبود ، قد جاء في نفس الوقت الذي اختلجت فيه عوامل التغيير في الارض العربية كلها — وبما في ذلك السودان جزءاً من الأمة العربية — وهي فترة الخمسينيات التي شهدت ميـــلاد الثورة المصرية سنة ١٩٥٨ ، وميلاد الحركات الثورية المختلفة في سوريا ، مع اندلاع الثورة الشعبية المسلحة في الجزائر ١٩٥٤ ، ومع قيام ثورة الرابع عشر من يوليو (تموز) في العراق ١٩٥٨ .

لقد ظن الشعب السوداني آنذاك ، ومعه الشعوب العربية ، انحركة عبود ما هي الا جزء من حركة الثورة العربية في حين أن عبود وصحبه كانوا من ذلك النفر الذي تربى في حضن الادارة البريطانية ، ولم ينتم فكرياً — هو وصحبه إلى الفكر الثوري ، ولا فكّر مع رجاله

بالمستقبل وتطوير المجتمع ، ولا بمطالب الشعب التي اراد تحقيقها على يد الحكم .

كان على الجماهير السودانية ان تمطي فرصة اولاً للعهد الجديد حتى تكشف هويته وتكتشف رجاله ، وكان طبيعياً أن تفعل ذلك وهي ترى الطلائع العسكرية تتحرك في عواصم الأمة العربية تطلب التغيير ، وأن ترى – التباساً مجموعة عبود وكأنها طليعة ثورية شبيهة ببقية الطلائع العسكرية الثورية في المنطقة العربية .

ولقد اكتشفت الجماهير هذه الحركة وهويتها بعد فترة وثارت عليها في اكتوبر ، وكان يمكن لثورتها الغاضبة أن تتحول إلى ثورة بناء وعمل ، وان تكون مستوية على نفس الطريق الذي تنتهجه الثورات التحررية الاشتراكية الا انها ضربت – قبل الأوان من الداخل – وعن طريق الرجعية الطائفية ، والحزبية التقليدية .

لماذا لم تكن حركة
عبود ثورة

لماذا كانت حركة الفريق ابراهيم عبود حركة غير ثورية ساهمت في تأخير ميلاد الثورة الحقيقية ؟

ان الذي ينظر الى حركة عبود نظرة مجردة وراهنة، والآن، وبعد ان مضت عن مسرح الاحداث العربية والسودانية ، يقطع انها كانت اولاً حركة بلا هويّة ثورية ، وشبيهة بحركة كل اولئك الذين يلبسون « الكاكي » ، ويتحركون بمطامح ومطامع شخصية ، على غرار ما حدث في اميركا اللاتينية ، وافريقيا ، وبعض الدول العربية ، أي في بلدان العالم الثالث الذي يمضي على قنطرة الانتقال الحضاري .

واذا جاز التقنين لهذه الفئة – ونحن نحسب حركة عبود منها – فإننا نقول : « ان الحركات الكاكية يمكن

ان تكشف عن نفسها من الايام الاولى عـن طريق عدم الاعلان عن شعارات واضحة ، وعدم الاستظلال باي مظلة فكرية ، وعن طريق اعتمادها القوة – المدعومة بالبندقية والمدفع – قاعدة للحكم دون ان تحس ان الجماهير ورعاية مصالحها هي القاعدة الانسب والافضل للبقاء .

ونشك ان تستطيع حركة « كاكية » البقاء في الحكم فترة طويلة – ما لم تكن مسنودة ومدعومة بعناصر بقاء غير عادية ناتجـة عن ظروف تفكك داخلي أو تطويق استعماري محكم أو الاثنين معاً – وخاصة في المنطقة العربية التي تملك حدساً مرهفاً في كشف هويات الحركات ، والرجال والاحداث التي تتحرك على مسرحهـا ، وذلك بحكم تمرس الجماهير العربية بتلك التجارب التي جعلتها تقاوم السيطرات المختلفة : الداخلة والخارجيـة ، الاستعمارية والاقطاعيـة ، الفكرية والدينية .

ومن باب التقنين ايضاً للثورة – وبالعبارة الموجزة – يمكن كشف الحركة التي ليست ثورة ، – ونحسب ايضاً ان حركة عبود كذلك – فالثورة ترفع من اللحظة الاولى راية الشعب ، وتضع مطالبه في برنامج عملهـا ، وترضى

الاشتراكية نهجاً – وعلى نطاق الامة العربية – العمل من اجل اقامة الوحدة مبدأ ، وانها تفصح عن نفسها افصاحاً حراً بسيطاً قاطعاً وملزماً ، ومن لحظة انبثاقها الاولى ، وانها فوق هذا وذاك تحقق المعادلة القائلة بانها وليدة حالة تاريخية معينة ، لها اسبابها الاقتصادية والاخرى الاجتماعية ، وانها لا تبعث في حـــالة عدم جماهيري ، وان رجلاً فرداً او مجموعة رجال لا يكوّنون الثورة ، وانما الثورة هي الجماهير ، أو هي التعبير عن ضمير الجماهير وفكرها عن طريق الطليعة الفكرية ، أو الطليعة الثورية المسلحة بالفكر ، او الطليعة العسكرية المزودة بالقوة والفكر ومبادىء التغيير .

وانه مع كل ذلك ايضـاً – لا تخطىء الطليعة الثائرة في اختيار رجالهـــا وعمادها ، من اولئك الذين ينتمون للثورة فكراً وفعـلاً – وإذا فعلت غير ذلك وقعت في اخطاء تؤخذ مسيرتها او تضرب وجودها – وهي تحرص – اذ تفعل ذلك – على ان تنهي او تشرع في انهـــاء الماضي المتخلف ، الذي يمثل الجمود والتأخر والبلادة الفكرية والرجعيـــة الدينية ، والرجعية السياسية ، والاقطـــاع الاقتصادي ، والاقطاع الطائفي ، والمحسوبيـــة المرتشية ، والانغـــلاق الحضـــاري ، والتزمت الديني والاجتماعي .

فإذا قسنا – بعد هذا – وبهذه الاوصاف المقننة حركة الكاكي على حركة عبود وجدنا التطابق الكامل بين صفات الاولى وصفات الثانيـــة ، وهو تطابق شكلي وعملي ، تؤكده من جانب الملامح المشتركة ، وتزيد في تأكيده سقوط الحركة في العداوة الباطنية اولاً مع الجماهير ، ثم السافرة معها ، التي انتهت بالاجهاز عليها .

واستطراداً في التحديد فإننـا نقول ان حركة عبود لا تتصف بهذه الاوصاف التي توصف بها الثورة وأنها مع هذا لم تكن حركة اصيلة .. لم تتحرك بهمة رجال وضعوا الآمال القومية نصب العين ، وانما كانت حركة « تـكليف » جاءت لتنفيذ مهمة ، بأمر من قيـــادة تقليدية ، ومن ثم استمرأت هذا التكليف ، ووجدت فيه متعة البقاء والسيطرة والنفوذ .

فالمعروف والثابت ان حركة عبود قـامت باشارة من السيد عبد الله خليل الذي كان انـــذاك رئيساً لوزراء السودان ، وليس ثمة اختلاف على انتماء السيد عبد الله خليل لليمين فهو من حزب الامة – أي الحزب الذي يقوم على اصول

الفكر الرجعي معتمداً على القاعدة الطائفية .

وعندما فعل ذلك كان من المعروف ان وضعـه مع الاحزاب التقليدية بات وضعاً متأزماً ، فـأراد بذلك ان يخيف رجال تلك الاحزاب ، والجماهير وطلائعهـا التي كانت تتحفز وتنظر الى الاحزاب بغضب ، وان يفك ازمته .

الا ان مجموعة عبود ممثلة بتلك القيادات التي نمت في احضان الادارة البريطانية – كما قلنا – حسبت بخـلاف حسبة السيد عبد الله خليل مـن قبل ، فطرحت نفسها بديلاً للاحزاب كلها ، فتولت السلطة دون أي مراجعة فكرية لاسباب مجيئها أو أسباب بقائها .

كان ذلك النفر من هذه المجموعة يحس – من خلال مفهوم التربية الانجليزية – ان الجندية ليست وظيفة قومية ، بـل هي استعراض ومظهر اكثر منها واجب ومسؤولية وطنية وسياج لحماية الوطن عسكرياً وسياسياً .

وكانت بحكم هذه التربية عديمـة التطلع ، فاقدة كل احساس بالانفتاح على الوطن وقضاياه ، وعلى العرب امة وقضية ومصيراً .

وبهذا حبس حكم الفريق عبود نفسه عن الفكر التقدمي – لنفس السبب – وعن المثقفين الثوريين ، واغلق ابواب السودان عليه ، مستمراً في المحافظة على التقاليد الانجليزية التي ارادت ان يكون السودان ويبقى غابة منسية ومجهولة من الارض العربية – لان السودان لو اخذ دوره الحقيقي حسب حجمه البشري وحسب رقعته الجغرافية لبات قوة عظيمة ، شبيهة بقوة مصر وقرينة لها ، مع ما تمثله مصر في الارض العربية من نفوذ واضافة حضارية وعسكرية . – ولم يتصل بالعالم الثالث – والسودان جزء منه – ، وقيد الحركة الداخلية للشعب السوداني صاحب التراث الديموقراطي الموروث ، وابقى – بكل ذلك – السودان في زاوية سياسية ضيقة ، ليس فيها انفراجاً قومياً ولا اجتماعياً فتضاءل حجم السودان بين الدول المتفتحة والنامية ، ناهيك عن ضياع ملامحه امام الدول الناهضة والمتقدمة .

واذا كانت كل هذه المواقف – بعد هذا – لا تمثل سبباً لوصف حكم الفريق عبود بالحكم العسكري – غير الثوري – فيكفي ان نقول انه بقي في الحكم ست سنوات لا يشاركه فيها احد ، كان خلالها يستطيع ان يصنع العجب في الارض السودانية البكر ، ولكنه لم

يفعل ذلك ، اي انه بقي عاجزاً في عصر القوة والانطلاق ، فاي عاهـة ابشع للحكم من ان يكون عـاجزاً ، وكيف يمكن ان يوصف حكم « بالثوري » وهو العاجز ؟!

ثورة اكتوبر كيف سرقوها ؟

إذا لم تتنبه الطليعة الثورية وهي تفجر الثورة اشد الانتباه ، وتتيقظ اليقظة الذكية فإن الثورة تقع تحت خطر ان تكون سلعة للسلب .

والتراث الثوري العالمي والعربي ينبه الى هذه الحقيقة ، ويؤكدها باستمرار ..

ان الثورة عندما تنفجر تكون عادة مصحوبة بالغضب والعنف العاطفي ، والرغبة الشديدة في تحطيم من تثور عليهم ..

انها هنا – وهي في صورة الغضب الشامل – تفقد الكثير من رحابة الرؤية ، وقد يضيق بها الافق فتضل بلا مقصد ، وتسقط في المحظور ، فيحتضنها عدوها اللدود من الداخل ، او يطلق عليها رصاص غدره من الخارج ، فترتد ، أو تتلكأ في مسيرتها ، او تقع وقعة صعبة ، او

تدفن تحت ركام كثيفة وتمضي في موات طويل حتى تدور دورة الزمن ، وحتى تستيقظ طليعة جديدة ، او تتنبه الطليعة القديمة مجدداً ، فتصلح موقفها وتتحرك بصبر وخفة وغضب عاقل .

واعسر الاوقات التي تمر بهـا الثورة — في انطلاقها وخطواتها الاولى — هي الاوقات التي تأتلف فيها قوتهـا التقدمية — التي تمثل الجديد — مع بعض من القوى التقليدية او الوسطية التي تمثل القديم .

انها ان لم تتيقظ هنا فسوف تقع لقمة سائغة في فم تلك القوى المتناقضة معهـا فكراً ومصلحة وتطلعاً ، وسوف تسرق الثورة — من الطليعة الثورية — وتُنفس باسهل الاسباب على يد هذه القوى المتضادة والمتناقضة معها .

وفي اكتوبر عندمـا ثار الشعب السوداني تلك الثورة الرائدة تحت قيادة قوى اليسار والوسط ، فات طليعته الثورية هـــذه الحقيقة فسرقت ثورة اكتوبر واجهضت فاكتوى الشعب السوداني بنار ذلك ، ونتيجة هـــذا الاجهاض الحرام .

كيف تم ذلك ؟

لقد اشتركت القوى اليمينية والحزبية التقليدية و« الوسط » في مقاومة حكم الفريق عبود المتسلط المتزمت المثل ايضاً للقديم واليمين مع الطليعة الثورية – هذه حقيقة – ولكنها عندما فعلت ذلك لاسقاط حكم شبيه بهـــا من حيث المحتوى الفكري والمفهوم للحكم لم تفعــل ذلك بغرض مصلحة الجماهير ، وتحقيق الشعارات الوطنية والقومية ، ولكن لانها رأت ان هذا الحكم قد صادر كل النفوذ الذي كانت تملك ، والسلطة التي كانت من خلالهــا تتحكم ، فأرادت وهي تساهم بضربه أن تحل بديلا عنه ، تتحكم وتتسلط تحقيقاً لشعورها الخاطىء الطائفي بأنها وريثـــة للحكم ، او تحقيقاً لشعور الفئـــة الاخرى منها ، التي تحس بأهليتها للقيادة بحكم كونها تاريخيــاً قد كانت على رأس المرحلة التي انتهت بالاستقلال .

آنذاك وجدت القوى اليمينية والتقليدية ان الفرصة مؤاتية لها أشد مـــا يمكن فانسلت تحت اللواء التقدمي المرفوع ، وهي تنوي في نفسها ما تنوي .

وعندما سقط حكم عبود ، بتلك الضربة الجماعيـــة

الجماهيرية ، وباحتشاد الطليعة العسكرية الثورية داخل الجيش السوداني وراء الجماهير ، كشف اليمين والوسط والتقليديون عن مطامعهم الا انهم لم يستطيعوا في اللحظة الاولى تحقيق هذا المطامع .

ولذلك قامت حكومة اكتوبر الاولى وهي تمثل بالدرجة الاولى التقدميين وتضع القوى الاخرى في زاوية من زوايا الحكم ، ولكن هذه القوى – التي تعرف ماذا تريد – زحفت بالسر والمكر ، وتحت ظروف غير واضحة ، لتحتل مكاناً اكبر من حكومة اكتوبر الثانية المعدلة .

وهنا فرضت هذه القوى الانتخابات التقليدية في ظل نظام ليبرالي ديموقراطي ، وتحت زعم ترك الخيار للشعب السوداني كي يقرر من الرجال الذين يرتضيهم للقيادة .

وفي الانتخابات كان من الطبيعي أن ينتصر اليمينيون والتقليديون والوسطيون، وان يكون حجم ريح قوى اليسار والثورة ضعيفاً ان لم نقل خسارة وخذلاناً ، وليس هذا غريباً في مجتمع

عربي « تركة » الجهل والتخلف والطائفيــة فيه تركة رهيبة من حيث الحجم والكم والنوع ، فهذا المجتمع وفي ريفه على الخصوص – قد اغلق تاريخياً عن العصر ، ساهم في ذلك الاستعمار ومن ثم القوى اليمينية والتقليدية ذاتها .

وشكلت حكومة اكتوبر الثالثة ، ثم شكلت الحكومة الرابعة لتعلن بمنتهى الوضوح سقوط الثورة وتمزقهـا على يد اليمين المنتصر في تلك الانتخابات ، فقد جـاء السيد الصادق المهدي ، سليل العقلية الطائفية اليمينية وربيبها لبرئس الحكومة السودانية .

وكان آنذاك لم يبلغ بعد الثلاثين من عمره عندما شغل هذا المنصب ، وكان واضحاً ومفهوماً انه لم يأت الى الحكم لانه أهلا له ، او لأن عبقريته الخارقة وضعته في هذا المنصب ، وانما لانتمائه العائلي الطبقي المعروف .

وبغرور ونزق من كان بمثل عمره من الوارثين المتبلدين على فكرة ورؤية معينة استطاع ان يقنع حزبه والتقليديين بطرد قوى اليسار التقدمي من الجمعية التأسيسية – وقد اتت بها الجماهير – ، ضمن ابشع عملية نصب وافتراء سياسي

شهدتها من قبل دولة ترضى بالديموقراطية الليبرالية نظاماً .

وبهذا الفعل الآثم كان قد تم تصفية آخر تجمع من تجمعات الثورة من مواقع النفوذ والمسؤولية . ومضى الحال هكذا طول تلك السنوات العجاف حتى انتفاضة مايو التي اعادت الروح الى اكتوبر .

ولكن السؤال – بعد هذا – لماذا تم أولاً هذا الائتلاف بين القوى الثورية الحقيقية والقوى اليمينية والتقليدية والوطنية والذي انتهى بالثورة هذه النهاية التي ذكرنا ؟

كان الحكم العسكري الذي يقوده الفريق ابراهيم عبود حكماً بوليسياً وجائراً وغبياً ، وكان أشبه شيء بمعتوه يمسك بيده مسدساً يهدد به رجلاً آخر أعزل يريد الخلاص منه .

وكان من الطبيعي ان يتجمع كل من يعنيه الامرلتطويق هذا الحكم وإسقاطه – لأنه لو تحركت قوة واحدة منفردة لتفرد بها هذا الحكم واغتالها على مرأى من الجميع – وهكذا التقى حزب الأمة (اليميني الرجعي) مع الحزب الشيوعي (الممثل لأقصى اليسار) والتقى الأخوان المسلمون (المتزمتون دينياً)

مع الاتحاد الوطني (الممثل للمدينة والوسط) ، والتقى الجميع مع المثقفين الثوريين وكل اليساريين التقدميين .

وقد نجح هذا الالتقاء ، وأسقط حكم الفريق عبود وانفتح الطريق أمام الجميع سهلاً ، وكان على كل قوة ان ترى أين هي بعد ذلك ، وما هو النفوذ الذي تملك ، وما هو السبيل لتحسين موقفها أمام القوى الأخرى .

ونظن ان التقدميين كلهم لم يحسبوا هـــذه الحسبة ، فقد كانت شعاراتهم هي البارزة ، وكانت الجماهير المدنية تستظل برايتهم ، وكان التقليديون والوسطيون واليمينيون قـــد انضموا اليهم عن طريق ترديد تلك الشعارات والاستظلال بتلك الراية .

حسب اليسار السوداني التقدمي – والحالة هذه – ان الأرض كلها تحت قدميه ملكه ، ولذلك لم يضع خططه اللازمة والحذرة حتى تبقى هذه الأرض حيث يظن ، وتبقى هذه الشعارات مرتفعة .

ونحسب – بعد ذلك – ان لهذين الموقفين أسباباً باتت الآن لا تخفى على أحد .

كان اليمينيون والوسطيون والتقليديون أكثر ذكاء وتجربة ومعرفة بالألاعيب السياسية ، وكانوا أكثر قدرة بالتالي على التأثير – من خلال ذلك – ومـــن خلال معرفتهم انهم في وطن يعتمد اعتماداً كبيراً في فكره عـــلى مشاعر موروثة تعطي أحقية بالجاه والسلطة لرجال يزعمون أنهم يملكون حقاً إلهياً في الحكم ، مستعملين نفس أساليب التضليل التي برع فيها من سبقهم ، متمرسين بكل المكر الحاذق والقادر على استغلال العواطف الدينية لدى الجماهير .

وهكذا ، وأمام هذا الواقع ، ضاعت الثورة ، أو قل سُرقت ونُقست من الداخل .

فهل تذكر الطليعة السودانية الثورية ذلك الآن ؟؟

يبدو أنها تفعل ، بدليل تلك الكلمة القاطعة التي قالها اللواء جعفر النميري رئيس مجلس الثورة : « لن نسمح للاحزاب بأن تتسلل إلى الحكم من البوابة الخلفية مرة ثانية » .

وجه من وجوه الثورة [1]

يمثل الرائد مأمون عوض ابو زيد وجهـاً من وجوه الطليعة الثورية التي تحركت في الخامس والعشرين من شهر مايو لانهاء حكم الاحزاب التقليدية المؤتلفة في السودان ، وهو عضو بمجلس قيادة الثورة والناطق الرسمي باسمه .

وقد انتدبته « الثورة السودانية » الوليدة وحكومتها لبرئس وفد السودان الى البلاد العربية ، حامـلاً رسالة لكل رئيس دولة عربية ، موضحاً الاتجاهات الجديـدة للحكومة الجديدة المستلهمة روح الثورة ، شارحاً ظروف وملابسات تحرك جيش السودان مندمجاً مع اليسار التقدمي ، معلناً : « ان السودان قد دخل عهداً جديداً يضع فيه كل امكانياته في خدمة الامة العربية ونضالها » .

وفي بيروت كانت « للصياد » جلسة مع هذا الرجل ، الذي وضحت في شخصيته من الوهلة الاولى ملامح التربية

(١) نشر في مجلة الصياد البيروتية بتاريخ ٢٦ - ٦ - ١٩٦٩

القومية ، والذي ظهر – من خلال كلماتـــه المركزة – واحداً من ابناء اليسار التقدمي ، المؤمنين بالثورة طريقاً للتغيير ، المستهدين بضوء التجارب الاشتراكية العالمية والعربية ، والمنفتحين على أمة العرب : القضية والنضال والمصير .

وقد جاء صوته الريان بالرجولة الينا واضحاً هكذا :

السودان والامة العربية

● انتماء السودان للامة العربية يحتم عليه ان يضع ثقله كله في خدمة قضية هذه الامة ، والسودان الوطن محتدم المشاعر والتطلع كي يكون له دوره الفعال في هذا المجال ، وهو يحس فرداً وجماعة انه لم يفعل ما يجب ، لان القيادات السابقة لم تستطع ان تضع موضع التنفيذ ما كانت تعلن عنه ، وما يفرضه احساس السودان .

ونحن لا بد أن نحقق – بحكم الانـــتماء والاشتراك بالمصير الواحد – كل الخطوات الضرورية للمشاركة بالمعركة ، ولكننا لا نريد أن نعلن عن ذلك كثيراً قبل ان تكون أفعالنا هي المعلنة عن نفسها .

* * *

السودان والعمل الفدائي

● « من الجانب الفدائي التقينا مع « ابو عمار » قائد « فتـــح » ، ومنظمة تحرير فلسطين ، فتحنا له صدورنا كما ينبغي للعربي الشقيق ان يفعل مع أخيه ، وأبلغناه ان السودان مع العمل الفدائي ، واننا في ذلك نقوم بالواجب ، واننا ونحن نفعل ذلك لا نريد ان يكون كلامنا للاستهلاك الداخلي او الفلسطيني او العربي .. ان الامة العربية قد تجاوزت المرحلة التي يتسابق فيها الزعماء بالتصاريح والخطب ، وراء المغنم المعنوي او الشخصي ، وان أي تأييد حقيقي لقضية من القضايا يجب ان يكون مدعوماً بالفعل ...

قلنا له ان مالية السودان قد تركت عاجزة بعـــد عمليـــات النهب والسلب وسوء الادارة وسوء التخطيط وسوء التبصر ، ولكن السودان – وهـــذا وضعه – لن يبخل على الحركة الفدائية ، ولن تكون مساهمته اقل من غيره من الذين يدعمون ويعضدون .

وذكرنا للاخ المناضل ياسر عرفات ان ما نقوله له الآن

ليس جديداً ، وانما هو رأينا منذ اللحظة الاولى لانفجار ثورة الخامس والعشرين من مايو ، وان السودان كان الاسبق عند اعلان هـذا الموقف الحاسم والصريح القائل بمحاربة الدولة العربية التي تحارب العمل الفدائي .

***

الضباط الاحرار

● « الضباط الاحرار » الذين قادوا ثورة الخامس والعشرين من مايو « تنظيم » قـديم . انه بالدرجة الاولى « تنظيم » فكري ثوري لان المنتمين اليه من ذلك النفر الملتزم بقضية نضال الامة العربية ، العارف ان للامة العربية ماضياً عظيماً يجب ان يُبعث حيّا ، والمدرك ان عصور الانحطاط والتخلف ، ومن بعدهما عصر الاستعمار ، قـد اخرّت مجتمعة التطور الثقـافي والفكري والعمراني والاقتصادي للامة العربية ، وانه مع هذا ينبغي لهذه الامة ان تنهض بواسطة الطليعة الثورية التقدمية الملتزمة نهضتها المرجوة التي تضعها تحت شمس الحضارة من جديد ، والتي تحسسها بحجمها وكيانها وقدراتها بين الامم .

و « الضباط الاحرار » بعد هـذا – وما زال الكلام للرائد مأمون عوض ابو زيد – قد تأثروا بحركة الثورة في العـالم ، وتأثروا بشخصيات الرواد الثوريين الكبار الذين قادوا مسيرة الشعوب عبر حقب التاريخ وفي عصرنا الراهن بوجه الخصوص ، ولكن « الضباط الاحرار » وطنيون قوميون ينظرون بشدة وإمعـان الى الارض السودانية ، ويرون انها ارض ذات ملامح مميزة ، لا ينبغي ان يتم التغيير فيها الا استلهاماً لروحها السودانية ، وانسجاماً مع تقاليدها.

و « الضباط الاحرار » – مع هذا تمثيل لروح القوات المسلحة السودانية ، التي لا احب ان اتكلم عنها كثيراً ، والتي اراد الحكم الحزبي البائد ان يقضي على شخصيتها ، والذي لم يرد لها الخير وهي التي تصون آمال الوطن وتحميها .

واذا كان ذلك لا يجعلني اطيل فانني اقول ان « الضباط الاحرار » وتنظيمهم الملتزم هـو الذي وقف من خلف الجـماهير السودانية ، يحميها من رصاص عبود وزمرته ، وهو الذي طوّق الحكم العسكري غير الملتزم وسـاهم في اسقاطه مع الجماهير .

***

المجتمع السوداني

• « المجتمع السوداني » سنعمل على تحريره من علل ومخلفات الماضي ، ولا مكان للاجاويد في هـذا المجتمع ، وسنراعي ان شعبنا السوداني قـادر بشدة على ان يخلص من التبعات الموروثة ، التي تؤخر انطلاقه ، والتي تحد من تقدمه ، وذلك من خلال اسهام الثورة في خلــق الوعي الثوري لدى الجماهير . ليس في المدينة وحدها ، وانما في الارياف ، وفي كل منطقة نائيـة عزلوا عنها رياح الفكر والمدنية .

***

الاشتراكية السودانية

• « الاشتراكية السودانية » التي نطلبها هي اشتراكية العدل والحرية والخير العميم .. ان ارض السودان رحبه ، يمكن ان تعطي الغنى لكل شعب السودان ، ومعه امـة

العرب ، ولكن عندما يتم التخطيط وحسن التنفيذ ، ويستفاد من الامكانات المهدورة في ارض مساحتها مليون ميل . الا اننا مع هذا لن نسمح ان يكون للاقطاع نفوذ ومكان في ارض السودان ، لن نسمح بان يملك اقطاعي ٢٠ الف فدان في حين لا يملك واحد من الكادحين فداناً واحداً .

المساعدات الخارجية

● « المساعدات الخارجية » سنطلبها من كل مصادرها ولكنها لن تكون مشروطة وسنتجه نحو الكتلة الشرقية ايضاً ، ولن نبقى معزولين عنهـا كما فعل الحكم الحزبي الرجعي ، ولاننا كذلك فقد رفضنا مساعدات البنك الدولي الاخـيرة في اولى القرارات التي اتخذها مجلس الثورة ، ومجلس الوزراء في اجتماع مشترك ، ان البنك الدولي قرر الا يعطي القرض الا اذا فككنا اكبر مشروع زراعي تعاوني نملكه ، وهو مشروع الجزيرة ، لقد اشترطوا تقسيم هذا المشروع إلى مشاريع صغيرة ، حتى يعطوا القرض ، وقد وافق الحكم الرجعي البائد على ذلك ولهذا جئنا نحن لنقول لهم مع أيام الثورة الاولى : لا نريد قرضكم المشروط

لانه مسموم .

***

الحكم الذاتي للجنوب

● « الحكم الذاتي للجنوب السوداني » لن يتم بمعزل عن التطور الثقافي والعمراني للجنوب ، وفي اطار الوحـــدة السودانية .. الجنوب جزء منا ونحن نعترف باختلاف مراحل التطور ، ولكن ذلك لا يعني الا يكون الجنوب جزءاً حياً وحيوياً مـن ارض الوطن السوداني .

● سنبني جيشاً شعبياً ، والامر مرهون بالموقف المالي .

حوار آخر[1]

عندما وصل الى بيروت الرائد مأمون عوض أبو زيد عضو مجلس قيادة الثورة في السودان ، والنـاطق الرسمي باسم المجلس مع المحامي امين الشبلي احد كبار الاشتراكيين السودانيين ووزير العدل في حكومة الثورة كنت حريصاً ان التقي بها الاثنين معاً ، وهما الوجهان الصريحان لحركة مايو التي تعانق فيها اليسار المدني مع اليسار العسكري .

كنت أحس – وانا بهذا الصدد – ان جلسة من هذا النوع توضح بايجاز مركز معنى هذا التعـانق ، وتكشف المزيد من فكر ثوار حركة مايو – فيما يتعلق بالحاضر والماضي ، وتفصح ايضاً عن نظرتهم للمستقبل .

وفي تلك الجلسة الصباحية المفتوحة كنا اربعـة ، من سميت ، والسفير السوداني في بيروت السيد مصطفى مدني – ذلك اليساري القديم –

وقلت في بداية الجلسة والرائد مأمون يدخل علينـا بقميص أبيض قصير الكم ومفتوح الصدر :

(٢) نشر في « ملحق » جريدة « الانوار » البيروتية .

● هل تعلم من قابلت هنا خلال الشهور الماضيـة ؟

– من ؟

● الامام الهادي المهدي والصادق المهدي والسيد احمد محمد محجوب ، والسيد عبد الماجد ابو حسبو ..

– مفارقة ؟

● يبدو ان ادارة الفندق قد احست بسيطرتكم على المواقع التي كان يشغلها هؤلاء فأحلتكم أيضاً في هذه الغرفة التي سكنوها من قبل .

وضحك الرائد مأمون وهو يقول :

– ولكن نحن جئنا هنا لغرض وهم قـد جاءوا لغرض آخر ..

وقال السيد امين الشبلي :

– لقد كان بعضهم اصدقاء اعزاء لك .

● وقلت : نعم وسيبقى الذين صادقتهم اصدقاء ..

لقد اختلفت معهم في الماضي على الرؤيا السياسية ولكنني كنت صديقهم وبقوا لي اصدقاء ، ولقد تعلمت ذلك من

السودانيين انفسهم .. تعلمت تلك الميزة الرائعة التي تمتازون بها عن غيركم من شعوب الامة العربية ، وهي التسامح الفكري ، ان يبقى اولئك الذين تختلف معهم رأياً وفكراً اصدقاء لان فيهم مزايا اخرى غير التي اختلفنا فيها معهم .

وقلت :

● ان الدكتور محي الدين صابر وبعد ان اصبح وزيراً في حكومة الثورة ذهب الى بيت الرئيس السابق محمد احمد محجوب ، والدكتور صابر اشتراكي ثوري والرئيس السابق ديموقراطي ليبرالي ، والاول — مع الثورة فكراً وقالباً والآخر ضد الثورة .. ولكن ما يجمع الاثنان رغم التنائي الفكري هو الفن والانسانية والزمالة السياسية .

وقال السيد امين الشبلي :

ومن يختلف معك فيما تقول .. ان « السودانيين » حقاً مثلما تصف واكثر ، ان آراءهم تصطرع بحدة وعنف وازباد ، ولكنهم لا يتعاركون ولا يتخاصمون من اجل ذلك ولا ينال واحد منهم الآخر بسوء .

والتفت الرائد مأمون عوض ابو زيد ليقول :

— ان ما يمثل هذه الحقيقة هي احساس السودانيين

بانهم من رحم واحدة ، وانهم اقرباء ، وقد يختلف الاخ القريب مع اخيه من اجل قضية ، ولكن شهامة القربى تمنع أياً من الاثنين ان يمارس الواحد منهما بحق الآخر ما يعتبر مناف للعرف الذي درج عليه الاخوان في علاقاتهم .

واستطرد :

ان زميلي الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم هو ابن عم المحجوب وهو الذي ذهب ليطوق بيته ليلة الثورة ويفرض عليه الاقامة هناك ، ولكنه وهو يفعــل ذلك لم يطلق رصاصة ، ولم يتصرف واحد من جنوده تصرفــاً مناف للباقة التي درج الوطن عليها .. ان تطويق بيت المحجوب وغيره لم يكن يعني الهجوم للانتقام وانما كان يعني التطويق السياسي والمحاصرة السياسية .

وقلت وشيء من الغرابة يصيبني :

● ولكن اليس ثمة تناقض في هذا الموقف ؟ ثم الا يعني ذلك طيبة مبكرة من الثورة مع الذين قامت الثورة ضدهم . خاصة والحال هي الحال التي ذكرنا ، والتي يشعر معها الجميع بالقربى فكيف بالقريب الصميم مع قريبه ؟

- العكس هو الصحيح .. ان ذلك يعني التفريق بين

المبدأ والقربى .. ان الرائد ابو القاسم رجل ثائر معتنق لمبادىء معينة ، وهو مع هذا يتصرف – وضمن اطار مبادئه – مع اقربائه مثلما كان يمكن ان يتصرف مع غير القربى ، وهذا يعني بالتالي الاستقامة على المبدأ ، والاصرار عليه ، ولكن بلا عنف غير مطلوب ، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن ما اقدمت عليه الثورة من انتداب الرائد ابو القاسم لهذه المهمة يعني ثقتها الكاملة برجالها .. نعم ذلك يعني الثقة الشديدة وليس التفكير الطيب الذي يمكن ان يوصف هنا بالبساطة المسطحة .

● أفهم من هذا انكم تفرقون بين التسامح الفكري وبين الطيبة مع من تظنون انهم كانوا على خطأ ؟

– نعم ..

قالها الرائد مأمون وكأنه كان على وشك ان يفرق بين هذين الموقفين قبل ان أسأله عنهما .

واستطرد بلغة حاسمة :

– لن نكون طيبين مع الذين أصابوا الحياة السودانية بالخراب .. ان الطيبة هنا ليست تسامحاً فكرياً ولكنها تهاوناً ، والثورة لن ترضى لنفسها بذلك .. سنعاقب كل

الذين اجرموا بحق الشعب السوداني .. أولئك الذين سرقوا أو ارتشوا ، والذين فسدوا وافسدوا ، والذين ظنوا ان الحكم مطيّة للاهواء .

قلت :

– هذا الكلام .. يقودنا إلى الاستفسار عن التصريح الذي نقل عنكم في بغداد ، والذي ذكرت وكالة الانباء فيه تلميحكم لمحاكمة السيد الصادق المهدي والسيد محمد احمد محجوب بتهمة التجسس ؟

● تصريح وكالة الانباء نقل بطريقة محرفة . ان مثل هذه التهمة تهمة خطيرة .. وكل ما قلته في هذا الصدد هو ان أي سوداني تثبت عليه اي تهمة مما ذكره المتهمون العراقيون سيحاكم ، ونحن عندما نعني اثبات التهمة فإننا نطلب المستمسكات والقرائن والدلائل العملية ، ولا يمكن ان نجرم انسان بمجرد كلام قاله متهم بعيد ، وخاصة في تهم من هذا المستوى يمكن ان تقرر مصير انسان ناهيك عن سمعته وشرفه .

* * *

وصمتنا عن هذا الموضوع ، ودار بنا الحديث وجهة أخرى حتى وصلنا إلى حزيران النكبة الدوار .

وقال السيد امين الشبلي وهو صديق قديم يعرفني قبل النكبة وبعدها :

– لقد اهتز يقينك .. واظن ان اتجاهك اختلف قليلا عمّا كنت عليه قبل حزيران ؟

وقلت :

● نعم .. ومن منا لم يهتز يقينه ؟. ومن منـا في تلك اللحظات الفاجعة وما بعدها لم تسقط الالهة من ضميره وتتحطم الاشخاص عنده ، وتهتز المبادىء الكبيرة في نفسه ، وخاصة تلك المبادىء التي ظنها انها الطريق إلى التحرير والحرية والوحدة ، والتي كانت عنده – من خلال رجل وآخرين – بر الأمان النفسي وطريق الراحة كلها نحو الهدف الكبير .

قلت :

● « لقد تعرض جيلنا كله وما زال لازمة .. أزمة ثقة بالثورة ، واحسب ان ذلك مردود للهوة بين الشعار المرفوع وبين الواقع المعاين ، وأحسب ايضاً ان جيلنا – وأنا واحد منه – ومع هذا قد وضع امام خيار : الثورة أم الآخرون ، وأظنه يختار الثورة مع كل ما حدث ، لأن الآخرين كانوا وما زالوا النفاق والاقطاع والطائفية والجمود

والغباء والجهل والمرض .

وقلت :

● انني أريد ان أسألكما الآن وانتما من الثورة كيف يمكن ان تردموا هوة من هـــذا النوع .. هوة ان يكون الشعار شيئاً والواقع شيئاً آخر ؟

قال الرائد مأمون عوض ابو زيد :

– اصلا نحن كان مجيئنا لتخليص الواقع السوداني مما كان يعتوره من اخطاء على كافة المستويات .. لقد كنا نسمع ما يقولونه امام الشعب بهدف استرضاء العواطف ، وكنا نعرف ان ما يقولونـه لا يضعونه موضع التنفيذ . وكان الشعب السوداني يحس معنا بذلك فيما يتعلق بكافـة القضايا .

كانوا مثلا يقولون ان الوضع الاقتصادي سليم ومعافى والجميع كانوا يحسون ان الوضع منهـــار ، وان الدولة قد عجزت في ظل الحكم البائد عن دفع ماهيات الموظفين في بعض اجزاء السودان .

وكانوا يدعون إلى العمل العربي المشترك بصوت ممتلىء ، ولكنهم لم يكونوا يعملون للعمل العربي ما يخدمه حقيقة .

وكانوا يتنافسون على السلطة والمصالح في نفس الوقت الذي يزعم كل منهم انه قد نذر نفسه لشعب السودان .

هذا الفارق ، نحن نمرنا عليه .. الفارق الذي سميته « هوة » بين الشعار المرفوع والواقع المعاين ، لاننا من هذه الجماهير .. لم ننفصل لحظة عن واقع الأمة ، في حين ان الحكم الفائت كان مفصولاً عن الناس ومطالبهم ، وكان ما يردده وهم باطل لا يؤمن به ، وانما يزايد من خلاله على الجماهير وعلى اصحاب الشعارات الشريفة المؤمنة .

امين الشبلي :

– اظن أن المشكلة التي يقصدها الأخ احمد وجهاً آخر أيضاً وهي الثقة بالثورة من خلال تفكك صفوف الثوار .. نحن ، اظن نختلف عن غيرنا في هذا المجال ، لأن وحدة القوى الثورية في الأرض السودانية قائمة ، وليس ثمة مشكلة نعاني منها ، لا الشوفينية ولا « حزبية يسارية مغلقة » ، وليس بيننا من يقول عن نفسه انه الحزب القـــائد . القوى القومية السودانية مؤتلفة من قبل وسيبقى ائتلافها قائماً لان أي جزء منها لا يرتضي لنفسه ان يكون البديل عن الآخرين ولان الجميع يحسون احساساً أكيداً بمعنى وقوف القوى

التقدمية السودانية على أرض واحدة ، مجابهة للماضي وما يمثله بيد واحدة .

قلت :

● اظن ان صفاء الروح السودانية وعدم وجود عقد مسبقة بين الفئات التقدمية السودانية سيدعم ذلك ؟

الرائد مأمون :

— اظن ايضاً ان هذه الهوة لن تكون لسبب ذكرته ضمنا وهو التصاق الطلائع الثورية التي قادت حركة مايو بالجماهـــير ، نحن نحس اننا نستلهم روح الناس وضمائرهم الشريفة ، ونحن لا نملي على الجماهير .. ان « الهوة » تحدث عادة عندما تتبرجز القيادة وعندما تظن انها وصيّة على عقل الجماهير ، وعندما تحسب خطأً انها شيء والجماهير شيء آخر .. نحن بدأنا من تحت ..

● أرى انك كمدني وهو كعسكري تلتقيان عند أصول عقيدة واحدة ؟

امين الشبلي :

— التجمعات اليسارية والطلائع الثورية في الجيش لها انتماء فكري متقارب ، وهذا الانتماء هو الذي أدى إلى اللقاء السريع بين الجميع وبانفتاح من قبل الطرفين .

الرائد مأمون :

- يمكن ان نقول للاخ محمديه هنا ان الجيش السوداني كان صورة عن الواقع السياسي .. كانت داخل الجيش القوى التقدمية ، وكان ثمة فئات تحمل افكاراً يمينية .. ومن الطبيعي الا يكون هنالك لقاء داخـــل الجيش - لاستلام السلطة - بين اليمين واليسار وانما الطبيعي ان يتم اللقاء بين اليسار واليسار من الجيش وخارجه .

قلت :

● هذا يضعنا الآن امام سؤال نريد به ان نستفسر به عن المعالم الاساسية للحركة الانقلابية التي يقودها ممتهنون من الجيش والحركة العسكرية التي تقودها الطلائع الثورية من الجيش ، اي الفرق بين حركة « الكاكي » وحركة الثورة :

الرائد مأمون عوض ابو زيد :

- حركة الكاكي لا تنفصل عن الرجعية ، ويقوم بها كبار الضباط عادة - أصحاب الولاءات اليمينية والذين أصاب فكرهم الجمود على افكار الماضي المرفوض - وحركة الكاكي - والكلام للرائد مأمون ابو زيـــد - تُكلف تكليفاً من قبل القوى اليمينية أو الاقطاعية أو الرأسمالية أو الاستعمارية على غرار ما حصل في اميركا اللاتينية

بالدرجة الأولى ، وعلى غرار حركة الفريق عبود هنـــا في السودان .

واستطرد :

ان العسكريين المتهنين ممن سميتهم بالحركة « الكاكية » يلجأون الى التضليل والتمويه ولا يستعينون بالقوى الثورية التقدمية من خارج الجيش .. انهم يستبدلون الرجال ، الرجعي بالرجعي ، والاقطاعي بالاقطاعي ، انهم يغيرون الوجوه ولكنهم لا يغيرون المحتوى ، مثلا لو كانت حركة مايو كاكية في السودان لذهبوا بالازهري واستدعوا بدلاً عنه ابراهيم جبريل .

والحركة الكاكية تنهج طريق الوسط تضليلاً ، ولكنها في الأغلب تنتهي إلى طريق اليمين مستعملة نفس أساليب الحكومات التي سبقتها ، ونفس نمط الرجال ، معتمدة على الأرهاب والبوليسية والقمع .

امين الشبلي :

– حركة الكاكي محصلتها واحدة هي والحكم اليميني ، وهي في العادة ليست اصيلة النفوذ ، وانما هي عملية استلام وتسليم .. اليمينيون يحسون ان بقاءهم في الحكم في فترة ما سوف يسبب لهم متاعب جماهيرية ، وسيفض الانصار من

حولهم . ولذلك يلجأون الى من يثقون فيه من العسكريين الاداريين المتهنين المفصولين عن الأمة والمنتمين الى الطبقة المنتفعة في الحكم .

هنا الحركة تكون تواطوءاً بين يمين ويمين لتفويت الفرصة على الثورة ، كي لا تنفجر ، ولاجهاض حركة الثورة عن طريق طرح البديل غير الأصيل في ساحة الوطن .

قلت :

● بالنسبة الينا في « دار الصياد » ، هذا الامر واضح ، وارجو الا تعتبروا السؤال موقفاً أو استفساراً عن هوية بتنا نعرفها المفروض بنا دائماً ان نثير الاستفهام حول الأمور غير العادية ونحن هنا نفعل ذلك بحكم المهنة وليس بحكم الموقف ؟

امين الشبلي :

– نحن نعرف ان الصحافة يفترض فيها ان تنقل الخبر بامانة ، ولكننا نعرف بالنتيجة ان للصحافة موقفاً من الحدث ، لأن من فيها لا يخرجون عن كونهم جزءاً من الوطن الذي يكتبون عن قضاياه .

قلتُ :

اود ان استفسر الان منكم عن الديمقراطية المطلوب

طرحها في السودان – وعلى نطاق الأمة العربية – واظن مع هذا الاستفسار ان أزمة الثورة العربية – في وجه من وجوهها – كانت ازمة حرية .. حرية انصارهـا ورجالها بالدرجة الأولى وحرية الجماهير ؟

امين الشبلي :

– فوّتَ عليّ ان اقول لك ، ان الجيش بطلائعه الثورية عندما تحرك ، تحرك لانه اداة من ادوات الثورة .. انه الاداة التي تحسم والتي حسمت الموقف لصالح الثورة .

امين الشبلي :

– نستطرد فنقول ان الديموقراطية المطلوبة ليست الديموقراطية الليبراليـة البريطانية ، لان طبيعة الارض العربية ، وما صاحب هذه الارض من تخلف قضى الا تكون الفرص واحدة أمام الجميع .

عندنا في السودان لو افسحنا الطريق مرة ثانية امـام هذه الديموقراطية لامكن لرجل واحد ان يكون له ثلاثة ملايين صوت .. لقد احتكر هـذا الرجل بحكم المنصب الديني الذي يشغل اصوات هؤلاء ، والديموقراطية الليبرالية تقول « لكل رجل صوت » ولكن عندما توضع هـــذه

القاعدة في الأرض العربية للتنفيذ سوف تختلف القاعـدة روحاً وشكلاً بحكم الطائفية والاقطاع لأن رجلاً مثل الذي ذكرنا سيصادر لصالحه ثلاثة ملايين صوت .. اي انه سيصادر فكر ثلاثة ملايين رجل .

ان الانتخاب حرية وارادة ونحن سوف نحقق هـــذا الشعار مـــن خلال ديموقراطية جديدة اساسها لا حرية لاعداء الشعب والحرية كل الحرية للشعب العامل : الفلاحون والعمال والمثقفون والجنود .

الرائد مأمون :

– هذا يعني باختصار ان نحقق للشعب ومعه إرادته : وهي ان يمارس الشعب العامل السلطة بحرية واختيار وعلى ضوء مصالحه الذاتية وليس على ضوء مصالح الاقطاع السياسي او الاقطاع الطائفي .

الثورة لماذا ؟

لو لم تحدث حركة مايو او ما يشبهها هل كان يمكن للسودان ان يضع نفسه على طريق المستقبل وان يصبح وجوده – في ظل الحكم الليبرالي الديموقراطي – جزءاً من العصر وروحه وتطلعاته ؟

نرى ان مثل هذا السؤال يقضي معرفة الواقع السوداني ، وتفحص الحياة السياسية فيه ، والنظر بإمعان الى طبيعة العلاقات القائمة بين ريفه ومدنه ، بين شماله وجنوبه بين المثقفين فيه ، وأولئك المرتبطـين بماضي القهر والتخلف وذل الجهل .

وأول ما يمكن ذكره هنا – ترديداً – ان الحكم الحزبي المؤتلف قد فشل فشلاً ذاتياً ومرتين – قبل الحكم العسكري وبعد ثورة اكتوبر – في أن يحقق للسودان ما يصبو اليه الوطن والمواطن .

وإذا شئنا هذه الفقرة عنواناً عاماً فإننا نفصل الأسباب فيا يلي تحقيقاً لوضوح الرؤية فنقول :

● اولاً لم يكن من صالح اكثر من نصف الموجودين في الحكم الحزبي ان يبعثوا السودان بعثاً مدنياً وثقافياً وعمرانياً – وأعني بهذا النصف لا الذين يمثلون الوسط ، وإنما أولئك الذين قامت زعامتهم السياسية على قواعد الطائفية المسنودة اولاً بانغلاق انصارهم على ماضٍ دينى مكبوت ، والمسنودة ايضاً بجهل الريف تطورات العصر نتيجة محاولة تلك الزعامة فرض حصار فكري عليه وإبقائه على ولائه لها ، القائم على عدم معرفة الجديد ، وعدم معرفة أي شيء سوى تلك الزعامات .

وهذا الموقف من قبل الزعامة السياسية الطائفية ليس موقفاً عفوياً منها وحسب نتيجة لتربية فكرية وشعورية معينة ، وإنما هو موقف هادف ومقصود ، لأن القيادات الطائفية كانت قد أحست بالعصر ، وكان رجلا مثل الصادق المهدي قد اتصل بالغرب والعالم ، وتخرج من جامعة كمبريدج ، وكان يعيش في قصوره ، وخارج تلك القصور حياة عصرية خالصة ، هي حياة النصف الثاني من القرن العشرين كما تعيشه اكثر الطبقات الاجتماعية انفتاحاً.

كانت الزعامات السياسية الطائفيـــة هكذا وكانت جماهيرها تعيش في القرن الثالث عشر ، وهذه المفارقة ان دلت على شيء فهي اشد ما تدل على رغبة هذه الزعامة بالابقاء على السودان بعيداً عن العصر لانه عندما يستظل الجميع فيء المدنية والعلم ستنتفي تلك الاقطاعية الطائفيــة الاليمة ، وسينتهي معها ذلك الاقطاع السياسي الذي جعل رجلا – في الانتخابات – يحتكر اصوات ثلاثة ملايـين انسان سوداني بحكم منصب موروث .

● ان وجود حزبين مؤتلفين يشكلان معظم الحكومات الماضية وائتلافها قائم على احساس الاثنين معاً انها في شركة تجارية مفروض ان تعطي المغانم والمكاسب والفرصة لكل شريك بالتساوي مع شريكه قـــد ابطل روح « المواطنة » لدى الحزبين واكسبها وبالتدريج روح « الانا » على حساب الوطن ، ولذلك كانت المشاريع العامة في السودان يتم تخطيطها بالقــــدر الذي يستفيد منه الحزبان والذين يلوذون بها ، ولم يكن غريباً ذلك التنافس الحاد على هيئة توفير المياه الريفية ، وعلى وزارة الري السودانية ، لأن كل حزب كان يريد ان يخدم نفسه عن طريق تلـك الهيئة على حساب الحزب الآخر .. وبالتالي على حساب

الوطن ، لأن هذا الحرص كان مشفوعاً بالقول ان هذه « الهيئة » قادرة - أكثر من غيرها - على خدمة الجماهير الحزبية .. وكان هذا نوع من استرضاء عواطف الحزبيين بطريقة رخيصة وبعيدة عن مصلحة الجماعه السودانية كلها .

● ولأن الحكم « شركة » فإن احداً من الطرفين المؤتلفين لم يكن يملك المبادرة ، ولا الحركة ، ولا الفعل الحاسم ، وكانت كل قضية من قضايا الوطن السوداني تضيع بين حساسية الطرفين ، وإحساس كل منهما ان الآخر من خلال هذه القضية او تلك - يزايد عليه ، او يكسب عطفاً جماهيرياً على حسابه ، او يحس انه لو اشترك معه في فعل معين فإن مردود الربح لن يعود عليه منفرداً وان هذا الربح - امام الجشع السياسي - يفترض فيه ان يعود اليه بالدرجة الاولى ، وكان - بهذا - تتوقف القضايا الاساسية والمصيرية ، وتتجمد او تميع ، على غرار قضية جنوب السودان ، فلقد كانت وكما اعرف ثمة افكار مشتركة للحزبين في حل مشكلة الجنوب ولكن واحداً منهما لم يجرؤ على الاشتراك مع الآخر في طرحها وحلها ، كما لم يجرؤ أي من الحزبين ان يتحمل مسؤولية موقف معين من هذه القضية التي استنزفت من الخزينة السودانية

١٥٠ مليون جنيه استرليني – غير العطالة والتعطيل – على مدى سنوات الاستقلال الاثني عشر .

● كان وجود الحزبين المؤتلفين – بهذه الصورة التي ذكرنا – لا يجعله يلتزم الصراحة التي يلتزمها الحكم القوي الواثق من نفسه وخطه ، وانما كان اسلوب المزايدة على بعضهما قائماً ، ولا يمكن للمواطن السوداني ان ينسى ذلك الصراع الحاد بين اعضاء الوزارة الواحدة التي اطاحت بها حركة مايو والتي اتهم فيها الطرفان بعضهما بالفساد والمحسوبية والرشوة وغير ذلك .

ان الحكم الحزبي ازاء ذلك الوضع كان ضعيفاً ، وهو المشهر بنفسه امام الجماهير . وقد اعتمد النفاق السياسي نهجاً وأسلوباً للعيش ، وعدم المصارحة مع الجماهير امام إحساسه بأن المصارحة تضعفه وهو الضعيف . وكان أبرز ما يستشهد به – على الحكم الحزبي – هو وقوفه مع العمل الفدائي موقفاً غير صادق ، وإعلانه امام الجماهير انه مع هذا العمل داعماً ومؤيداً . لقد منعوا مئة الف جنيه جمعها الشعب السوداني مساهمة منه لشعب فلسطين عن الحركة الفدائية ولم يدفعوا المبلغ إلا بعد تشهير مدير مكتب منظمة تحرير فلسطين السابق في الخرطوم

السيد سعيد السبع بهذا الوضع ، وكان أحد أقطاب الحكم وباستمرار يردد في بيته وعلى مسمع من الناس ان العمل الفدائي تخريب للبلاد العربية ، وان اسرائيل لن ترد على شعب فلسطين وإنما سوف ترد على العواصم العربية ، وكان رأي هذا القطب تأجيل العمـــل الفدائي ثلاث سنوات أخرى حتى تستكمل الدول العربية قدرتها على الحرب ، وكأن الثورة في العادة تستأذن عندما تنطلق من السلطات الرسمية او من الذين يقدّرون المواقف من خلف جـدران بيوتهم المترفة .

● ان الحكم الحزبي المؤتلف وبحكم نظرته للامور غير الثورية ، غير المنفتحة ، كان قد تبلد على حيـاة معينة ومستوى تفكير واحد لا يقدر على تجاوزه ، وكان مع هذا وذاك قد جمد على اساليب معينة تخدمه ذاتياً وحزبياً ولا تخدم الوطن والمواطنين ، وبالتالي كان اعجز من ان ينظر إلى المستقبل وان يرى حقيقة الحاضر ، وان يعمل بالتالي مـــن اجل تخليص الوطن من مشاكله وهمومه واحزانه الموروثة .

كان هذا الحكم لا يرى من وجهة نظره المحصورة ان السودان في واقع لا يحسد عليه ، وهو الاكبر والاغنى

امكانات ، وكان يملك بمسبحة يسبح فيها بمجدذاته ، فهو هنا كان فاقداً لحس التطوير وحس النقـــد الذاتي وحس التبصر والاستشراف على المستقبل .. ومعنى ذلك ان الحكم وأمام عـــدم وجود عقيدة فكرية وخطة قـــد أفلس إفلاساً ذاتياً ، وأي وزير كا هو معروف كان يسأل عما سوف يعمله كان لا يجيب لأنه لم يكن يعرف ماذا يريد وماذا يريد الحزب ، ومـــاذا يريد الحزبان المؤتلفان وهل الجميع في الحقيقة يريدون شيئاً .

* * *

كان هذا هو الوضع والسودان كما قلنـــا قارة رحبة الآفاق ممتدة جغرافياً ذلك الامتداد الذي جعلها ممـــيزة بكونها أكبر قطر عربي – مليون ميل مربع – غنية بإنسانها الذي يمثل ساعدا الأمة العربية ، غنيـــة بإنماط هذا الانسان الناتجة عن رحابة الأرض ..

والحكم في السودان لا يملك أن يحسم في القضايا ، ولا يملك أن يطور ، والانسان السوداني يرى نفسه أفقر البشر وهو في أغنى الأوطان ، والحكم بارتباطه اليميني والطائفي لا يفسح مجالاً للقوى الجديدة والناهضة ان تأخذ طريقها بل يحاصرها ويمنعها ايضاً عن ممارسة حقهـــا في الحياة

السياسية ، العـــالم يقفز نحو القمر والمواطن في غرب السودان عطشان يتضور جوعاً ، الوطن السوداني الرحب المظم قد أصابه الشلل فلم يأخذ دوره ونصيبه الفعال في معركة الأمه العربية كما ينبغي - وهو ١٤ مليون انسان - ، جيش السودان المفروض به ان يكون اقوى الجيوش العربية ومع ذلك لم يحسب مرة بـين القوى الضاربة ، وبقيت أسلحته من المخلفات البريطانية أيام الحرب الثانية ، وهو الذي يملك إنساناً مميزاً بالشجاعة والقدرة على الاقتحـام والمسؤول عن حدود وطن مساحته مليون ميل تحـــده ثماني دول بعضها عدو لدود .

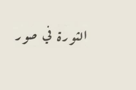
كان هذا هو الوضع وكانت هذه هي المعاناة ، الحكم الحزبي لا ينتقل خطوة بالوطن الى الامام ، والوطن الكبير ينظر للسودان بحسرة وهو الذي يدخره لمثل تلك الساعات الحاسمة من حياته ، والسودان نفسه مقهور يرى ما يرى ، يملك التطلعات المتفائلة والقدرة ، ولكنهم لا ينظرون الى تطلعاته ولا إلى قدراته الكامنة .

كان هـــذا هو الوضع .. وكان يمكن ان يستمر كذلك إلى يوم ينفخ في الصور إن لم تبادر الطليعـــة الثورية وتتحرك لحساب شعب السودان وتضع نهاية حاسمة ،

للاقطاع ، والجهل ، والطائفية ، والنفـــاق السياسي ، والرقص على الحبال ، والضعف ، والقهر ، وذلة السنين ، والتخلف ، والمرض .

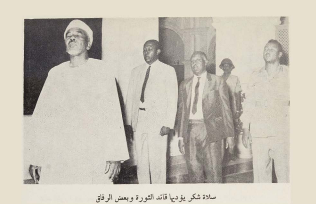
وقد فعلت الطليعة الثورية المطلوب منها ، والتي لولم تفعله لكان يمكن اتهامها بالتواطؤ .. أي انها قضت على النفاق السياسي والرقص على الحبال وبقي عليها ان تقضي على ما تبقى من اقانيم الفساد .

الثورة في صور

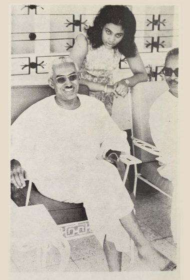




قائد الثورة ورئيس الحكومة مع اعضاء من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء



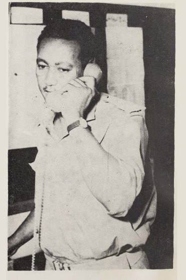
صلاة شكر يؤديها قائد الثورة وبعض الرفاق



رئيس حكومة الثورة السيد بابكر عوض الله
مع ابنته وشقيقه



الجماهير ترفع راية الثورة وهي الراية الأشتراكية



قائد الثورة اللواء جعفر النميري



مجلس قيادة الثورة